المدى
العدد (1447) السنة السادسة - الثلاثاء (3) اذار 2009 ◆ http://www.almadapaper.com - E-mail: almada@almadapaper.com

الحكومة العراقية تخشى خروج القوات الأمريكية لا بقاءها!

إيلاف

غالب حسن الشابندر

فيما أعلن الرئيس الامريكي اوباما مشروعه بالانسحاب المدروس من العراق مع بقاء خمسين الف جندي أمريكي الى المدة المقررة أعلن احد نواب الائتلاف العراقي بان الحكومة والبرلمان العراقيين يرحبان بانسحاب أمريكي مبكر!

لست أدري في الحقيقة هل السيد النائب مسؤول عن ترجمة موقف كل أعضاء الحكومة العراقية وكل أعضاء برلمانها، أو هو اجتهاد شخصي؟ خاصة وإن هناك صيحات اخرى من داخل البرلمان ترى إن قرار أوباما ليس مدروسا، كما أن في حكومة السيد المالكي من يتخوف كثيرا من تداعيات انسحاب مبكر بل وحتى غير مبكر.

لا علينا...

ولكن أقول إن تصريح هذا النائب يحمل الكثير من المغالطات المكشوفة لكل من له أدنى إطلاع على الواقع في العراق، بل ومن لديه احتكاك تاريخي بكثير من أعضاء البرلمان العراقي وربما بما فيهم صاحب التصريح المذكور.

إن السيد رئيس الوزراء العراقي سبق وأن هدد البرلمان بان عدم التوقيع على المعاهدة الامنية الامريكية العراقية تقود إلى انسحاب كلي وسريع و من دون فاصل زمني للقوات الأمريكية من العراق، وهو تهديد شاخص، ومنه نستنتج بكل وضوح كم إن السيد رئيس الوزراء العراقي وقبل غيره يحتاج الى وجود هذه القوات لا رحيلها!

العمليات التي تشهدها الموصل هذه الأيام هي بشراكة (وليس بمشاركة!) أمريكية فاعلة وهي عمليات مهمة وخطرة لان القاعدة ما زالت تتخندق هناك في كثير من أطراف الموصل، وبالتالي، أين هي مصداقية ذلك الترحيب على لسان صاحبنا الحكي!

ان عملية السلام حتى هذه اللحظة يشوبها الكثير من الشك و الغموض، وقد أشار الى ذلك السفير الامريكي السابق كوركو، عندها حذر من انسحاب مفاجئ أو غير مدروس، ومن أن ذلك سوف يعرض مكتسبات السلام السريع إلى انتكاسات غير محتملة. هناك نقطة جديرة بالانتباه، أن أي تصريح للسيد رئيس الوزراء العراقي باستتباب السلام تعقبه موجة تفجيرات هنا وهناك، وهي دليل التحدي، و دليل وجود بؤر إرهابية خفية، ولكن لماذا نذهب بعيدا، وما زالت السفارات الأجنبية بحماية من قوات جيوشها وشرطتها وليس بحماية الدولة العراقية؟ ولماذا نذهب بعيد أيضا وقد استطاعت خلايا الإرهاب ان تقتحم أسوار الجيش والقوات المسلحة في الكاظمية لتصل إلى قلب المدينة وترتكب تلك الجريمة البشعة بحق عشرات الناس في الكاظمية المقدسة.

أن تصريحات السيد قاسم عطا تتسم بالعلمية والمهنية، فهو يشير إلى (انخفاض عمليات العنف)، فيما تشير تصريحات السادة السياسيين إلى إستتباب الامن، البلد الآمن، والعراق ليس بلدا آمنا، بل ما زال يعيش حالة إنذار وخوف، والا ماذا يعني انتشار القوات المسلحة في الشوارع واستمرار الجدران العازلة والعوازل الكونكريتية.

إن تصريح النائب المذكور لا يحمل أي مسؤولية إنسانية،وهو كما يبدو لا يهمه أن يضحي بمئات الناس في مدينة الصدر والشعلة و الكاظمية والنجف وكربلاء ما دام ينعم بحماية الامريكيين الشياطين كما كان يسميهم، وربما كان ينسج لهم اسما من كيفية تعامله مع الاشياء والحقائق والآخرين، والخوف من الله تبخر في غياهب التاريخ الزائف.

لا يستطيع أي مسؤول عراقي كبير أن ينكر دور الامريكيين الآن في تسيير العملية الأمنية والسياسية، ترى ما الذي سوف يحل لو أن عدد الامريكيين أنخفض الى الثلث؟ وهل الوجود الامريكي الآن هو مجرد وجود شبحي؟ ألا يساهمون في تبادل المعلومات الاستخباراتية ويساهمون في دعم القوات العراقية وهي تتصدى للمجموعات الإرهابية؟ ولكن ماذا يسمي (السيد النائب) الإنزال الامريكي على بيت أحد أعضاء المجلس البلدي في كربلاء واقتياده مخفورا؟ وفي الحقيقة لو كان هذا البرلماني التقي صادقا في تصريحه هذا لوقف معترضا ومزمجرا ضد هذه العملية التسلطية التي تكشف عن استهتار امريكي بكل مؤسسة عراقية، وإنها تعلن بمثل هذه المواقف عجرفتها واستعدادها لسحق اكبر رأس معترض اعتراضا حقيقيا.

أن المخلصين ينصحون النائب المذكور أن يزيد من عدد حراسه فيما خرج الامريكيون من العراق وأن يخطط من الان لمثل هذا الطارئ الخطر...

ولكن..

هل خصصت الحكومة العراقية طاقما من الحراس لحماية السيد النائب؟

وكم عدد الحراس وكم هي حقوقهم الشهرية؟

أقترح عليه أن يزيد منهم ويزيد من مراتبهم الشهرية، فإن احتمال الانسحاب المفاجئ موجود...

وأعني ما اقول!

الحكومة العراقية بأكثر فصائلها تخشى خروج القوات الامريكية لا بقاءها بصرف النظر عن التفاصيل.

رحلة إلى أبواب غزة

باب المتوسط

بقلم يوسف بزي

لا شيء سوى الطريق المستقيم في هذا المسطّح الشاسع الكابوسي والليلي. مسطح الصحراء الذي يظهر في العتم، المقبب بأنصع السماوات المتفجرة بالنجوم، بلا تضاريس ولا أشكال ولا التواءات ولا علامات. سطح واحد تجتازه «المرسيدس» الصفراء التي تقلنا، التاجر الفلسطيني الذي وضع على سطح السيارة بضاعته من الكهربائيات الصينية، والشاب المصري ابن مزرعة في رفح مع أخته الخرساء التي ضاعف خرسها النقاب، وأمه المبرقعة على الطريقة البدوية، وذلك النائم الذي لم أعرف عنه سوى ملمحه الفلاحي الخشن والتعب.. وانا المرتبك بحقيبة الكتف وقنينة الماء وبرهابي المستمر من ضياع جواز السفر وأوراق التصاريح الرسمية والجرائد المصرية المجعلكة وعرق يدي الذي يدبق كل ما ألمسه، أنا المتعب بعد مساء من صخب مقهى «الحرية» القاهرية الطافح بسجالات عقلانية النظام المصري البوليسي الطابع مقابل «إنهيال» المعارضة المنتشية بحماس وحزب الله وقناة الجزيرة.. مقهى عابق بروائح البيرة ولغة اليسار الكسيحة والعتق الخشبي والحمامات السائبة على حالها، أنا المتعب من زحمة المترو الذي سيوصلني منتصف الليل الى المحطة الأخيرة لأسير منها في أرض متربة تغطيها النفايات والخردة والحفر والرمال وغبار الورشة العملاقة لجسر لا أعرف أين يبدأ ولا تظهر لي نهايته.. ساعياً الى موقف الباصات والسيارات المتجهة عبر الاسماعيلية الى السويس فشمال سيناء مروراً بالعريش فرفح.

وحدنا، كآخر سيارة على الأرض، نلتهم الطريق بسرعة فائقة (١٣٠ ـ ١٣٥ كلم في الساعة) ونسير في هذا المنبسط المغمور بالنجوم ولا شيء سوى الأصوات المفاجئة للبنت البكماء. أصوات مجروحة يقشعر لها البدن في هذا المشوار الصحراوي الموحش الذي ستزداد وحشته مع الكاسيت الملعون الذي يضعه السائق ويكرره علينا كالكابوس، ما أن ينتهي حتى يعيده من البداية. خُطب شيخ من شيوخ «تنظيم القاعدة» لا يهدأ صوته الراعد الغاضب على الصليبيين واليهود و«الأميركان» و«الرافضة» و«المنافقين»..

أغفو لدقائق كمن حلّ به مرض، وأصحو ناقزاً على وعيد وتهديد يطلقهما كاسيت الشيخ إذ يختلطانِ في ذهني بحلم أرى فيه رجلاً يقبض على رقبتي محاولا فصل رأسي عن بدني، فإذا بالسائق ينتبه لنقزتي فيلتفت إلى بنظرة هازئة متشفية: «إيه يا دكتور حصلك حاجة؟ شوية ونوصل للاستراحة».

يفتح نافذته ويبصق بلغماً. هكذا كان يفعل طوال الطريق بتواتر منتظم، كمن يترك خلفه آثاراً متتالية كي لا يضيع. في الفراغ الذي أخاله يسع بلداناً عدة تنبثق «الاستراحة» الموعودة، بعد أربع ساعات من المسير، حيث تفوح الى الأبد روائح اللحم والكباب والكفتة والكبدة المشوية، وحيث فجأة انتبه ان سيارات أخرى وركاباً آخرين. لا أعرف من أين أتوا. موجودون فيها مع أكواب الشاي والمشروبات الغازية وأكوام البسكويت وأكياس البطاطا المقلية وصحون يخنة الفاصوليا وشاشة التلفزيون التي تعرض قناة للغناء العربي المذيّلة بفيض الرسائل الخلوية عن الحب والفرفشة والمقاومة.

فيديو كليب لفتيات يرقصن على هذه الشاشة المرمية في استراحة الصحراء التي تتصدر سرادقها صورة صاحبها. حاج مصري على هيئة «المعلم» التي نعرفها من الأفلام المصرية ورواياتها، رافعاً يديه كمن يشكر ربه على النعمة والرزق والامتياز الذي حصل عليه: استراحة وحيدة على امتداد ٣٠٠ كيلومتر.

انها الرابعة والنصف فجراً. رجل يقف في اللامكان، في تلك الساعة يلمع وجهه بجمرة السيجارة ويرمقنا اذ نجتازه بلمح البصر. رجل في الخلاء وحده، ولا استطيع ان أتخيل من أين أتى سيراً على الأقدام والى أين سيذهب سيراً على الأقدام. مشهده هذا يغذي مجدداً الكابوسية التي استبدت بي.

تعاود البكماء أنينها المفاجئ الذي ينقطع بغتة اذ يلكزها أخوها بكوعه بعنف، فتبرطم الأم ثم يعود الصمت مجدداً.

الخامسة فجراً، وصلنا بوابة معبر رفح المصرية الضخمة المشيدة على طراز معبد الكرنك، بتقشف باطوني متكبر، ولم يكن قد تبقى من الركاب سوى التاجر الفلسطيني وأنا. تغادرنا السيارة ونبقى وحدنا في العراء الصقيعي الذي يؤلم العظام.. ولا أحد. ابن غزة تصرف وكأن هذا الموقف هو من عاديات حياة كل البشر ويومياتهم.

أن تكون ميتاً من البرد، مغلّفاً بالعتمة الموحشة، مرمياً في الخلاء الصحراوي أمام بوابة صماء لدولة غريبة ما زالت شرطتها نائمة خلف بوابات الحديد الثخينة والثقيلة، ولا مأوى لك سوى هذه الخربة القريبة المدهون عليها باللونِ البرتقالي «كافيتريا العبور» المقفلة والتي تحيطها ايضاً النفاياتٍ والأتربة. ولا خيار لك سوى الانتظار مقرفصاً لائذاً بهذا الجدار. ولا شيء سوى السيجارة الملتمعة في هذا السواد وسعال «رفيق دربي».

من قلب العتمة يظهر رجل ملثم: «السلام عليكم». أتى من خلف الكافيتريا من دون أن ننتبه إليه إلا وهو يصافحنا، ثم يظهر رفيق له، يقترب ويقول بصوت ودود ورائق: «صباح الخير». «أنتم من غزة؟» أسألهم فيقول الملثم «لا نحن الأمن.. تفضلوا» ليدلنا علىٍ حفرة في التراب ما زال فيها جمر قليل. نضع أحجاراً ونجلس حولها فيما هو يجلب أغصاناً يابسة هزيلة.

نتكوم متلاصقين تقريباً حول الموقد المرتجل.. يبتسمٍ رجلٍ الأمن، ويقول «حلوة النار». يسحب كيساً بلاستيكياً مليئاً بخبز «العيش» والجبن ويبدأون ثلاثتهم بالفطور المرتجل. وبعد دقائقٍ يبدأ صاحب الصوت الودود بالغناء لوديع الصافي ناظراً إليّ: «إزاي هيفا وأليسا. إزاي لبنان الحلوة، إنت يا جميل.. يا أحلى ناس».

أفهم منهم أنهم شرطة يقومون بواجبهم بلباس مدني. ليس لهم نقاط ثابتة ولا مراكز يخفرون فيها. أشبه بدوريات سرية ترميهم الأوامر في أي مكان من هذه الصحراء. سحب أحدهم من كيس بلاستيكي ما يشبه غطاء السرير وأصر أن يدثرني به: «يا استاذ انت ضيفنا ونحن المقصرين» كانوا يتناقشون في قلة الراتب ويتبادلون النكات المصرية الرائعة، ويحكون همومهم في العمل وأحوال قراهم وأسرهم ويتذكرون مقاطع كاملة من أفلام اسماعيل ياسين وعادل امام وعبد المنعم مدبولي. ضحك أنساني كوابيس مشوار سيناء وكاسيته.

أروع وألطف رجال شرطة سرية صادفتهم في حياتي. ودّ فائق ما كنت في حياتي أتخيله في شرطي عربي. شعرت أني مدين لهم ولكومة جمرهم بانقاذ حياتي ما بين الساعة الخامسة فجراً والثامنة صباحاً وسط القفر الجليدي الصحراوي. غزة على مرمى حجر، اراها مع أول ضوء. وما أن أراها حتى أشاهد الغربان. غربان حقيقية كثيرة تستيقظ من أشجار الكينا المزروعة داخل منشآت المعبر، خلف البوابة الموصدة. الطيور السود المهيبة تحلق بأعداد وافرة حول الأسلاك الكهربائية وأعمدتها العالية.

غزة والغربان والبوابة: شيء من السوداوية يحّل على طلوع الشمس. يختفي افراد الدورية كما أتوا. أقضي ساعة من الصمت والكآبة. انها الثامنة يظهر شرطي بلباسه الرسمي داخل منشأة المعبر. يقول: لن نفتح المعبر حتى الساعة العاشرة. يصل رجل الكافيتريا ويفتحها. أول ما يفعله يشغل التلفزيون على قناة لم أرها من قبل. قناة تتغنى بـ«بطولات» أبو مصعب الزرقاوي وتناشد بشار الأسد ان يحرر العراق، وصوت رجل يقول بلهجة عراقية: يعيش البعث، يعيش البعث، وفيديو كليبات تصور المجازر والسيارات المفخخة والاشلاء وعويل الأمهات وبكاء الأطفال والجثث وعمليات التفجير ضد القوات الأميركية.. أقرر أني لن اشتري شيئاً من هذه الكافتيريا الجهنمية، التي يمتلكها رجل يبدأ صباحه مع قناة الموت هذه.

تتكاثر الغربان، تصل شاحنة محملة بالجنود. تصل سيارة مع ثلاثة شبان وحقائب كثيرة. تنبثق امرأتان بدويتان من العدم وتقرفصان على الأرض وتفلشان أكياساً صغيرة من اللوز وقناني الحليب. تصل ثلاث سيارات محملة برتباء وضباط شرطة، يليها باص ممتلئ بموظفين مدنيين يعملون في المعبر. ما بين التاسعة والعاشرة انتبه الى اننا بتنا حشداً كبيراً من المسافرين المنتظرين: أطباء اندونسيين، أطباء اتراك، مسعفين مصريين مع رتل من سيارات الاسعاف، ديبلوماسية أجنبية ومرافقيها، عائلات فلسطينية، حمالين، طاقم تلفزيوني هولندي، صحافيين أميركيين وصينيين، صحافية فرنسية وآخر انكليزي.. طبيب اميركي من أصل سوداني.

بدأت مشواري من القاهرة الساعة الحادية عشرة ليلاً وها أنا اقف عند البوابة الساعة العاشرة صباحاً، بلا نوم منذ ٢٤ ساعة ولم أصل غزة بعد. وما أن يفتح الضابط البوابة ويبدأ بفرزنا بين فلسطينيين من جهة وأطباء وصحافيين من جهة ثانية، حتى يقرر اعادة إقفال البوابة مجدداً. لم يقل لنا ان كنا سندخل اليوم الى غزة أم لا. هل سيفتح المعبر؟ هل من مشكلة ما؟ لا جواب سوى للأطباء الاندونيسيين: أنتم لن تدخلوا اليوم. انه دور الفريق التركي فقط.

بعد نصف ساعة يعود. يأخذ من الصحافيين جميعهم تصاريحهم وجوازات سفرهم.. يغيب لعشرة دقائق ثم يعود ويدخلنا الى منشأة المعبر وباحته الداخلية: اذهبوا الى «قاعة المسافرين». الفلسطينيون جميعهم بقوا خارج البوابة، منتظرين لوحدهم. شعرت بالحرج إذ أنني اكثر حظوة منهم لدخول بلادهم بالذات! بل أكثر حظوة منهم اذ يتعامل معي ضابط، فيما ترك لهم احد العرفاء ليتعامل معهم بلا مبالاة. هناك، في «قاعم المسافرين» نملأ الاستمارات ونكتب اقراراً وتعهداً اننا سنعود من غزة بعد اربعة ايام كحد اقصى، في مكتب أمني يشغله رجال بلباس مدني، يتمتعون ببنية جسمانية قوية، عسكرية الطابع والحركة. يأخذون كل أوراقنا وجوازات سفرنا ويتركوننا في القاعة لمدة ساعتين أو اكثر. يأتي رجل يسحب كرسياً ليقف عليها ويشغل كاميرات مراقبة مثبتة في أعلى الجدار. ساعتان من التدخين المر والضجر والانهاك.. والتعارف الاضطراري ما بين المنتظرين، حيث أجد نفسي مع الروائي الهولندي عبد القادر بن علي الذي التقيته مرات في بيروت، ثم هذا المصور الفوتوغرافي الشاب الهولندي الجنسية من أب أكوادوري وأم تشيلية، والصحافي الأمريكي المستعرب، الصيني الأصل!

الزميل حمدي على الهاتف من القاهرة يتابع كل ساعة الامتار القليلة التي اجتزتها من بوابة المعبر الى باحته الى مكتب رجال الأمن إلى القاعة وانتظارها الطويل، الى الباص الذي سيضعنا في الباحة المواجهة للحدود مع غزة. يجري اتصالاته الخفية مع مراجع نافذة ومقتدرة في مكاتب الدولة المصرية. الزميل هاني يكرر اتصالاته للاطمئنان.

ندفع «رسم الخروج» وندفع رسم الباصين، الأول الذي سينقلنا خارج البوابة المصرية والثاني الذي سينقلنا من البوابة الي المعبر الفلسطيني. مئتا متر بتكلفة ٢٠ دولاراً أميركياً. ندفع بقشيشاً (إجبارياً) للحمالين الذين لم يحملوا شيئاً. «بسيطة» أقول في نفسي. عملياً بتّ لأول مرة داخل فلسطين التاريخية، انجاز شخصي يجعلني أستعيد لا ارادياً، وعلى نحو مضطرب كل ذاكرتي السياسية والثقافية.

تبدأ غزة بجدار وأسلاك وأبراج مراقبة وغبار كثيف. ومقابل الصمت والسكينة والرهبة الهندسية للمعبر المصري تقابلك غزة بخليط متصل من الأصوات البعيدة. وما أن نجتاز السور الاسمنتي الذي يشبه الاستحكامات الحربية حتى نجد أنفسنا في منشأة المعبر الفلسطيني الذي شيّده الاسرائيليون. منشأة مرتبة ومتواضعة ومحاطة بحديقة منمقة ومشجرة، مع مبان بيضاء توحي بالاناقة والحميمية، حيث نجد موظفين تابعين لسلطة حركة «حماس» يستقبلوننا بترحاب فائق ولهفة وابتسامات عريضة. رافقونا وأرشدونا للدخول الى قاعة صغيرة شديدة النظافة والترتيب تشبه قاعة مطار من حيث تجهيزاتها وتقسيماتها الوظيفية. وفي غضون خمس دقائق فقط أنجزوا ختم كل الجوازات فيما كان رجل يتفق معنا على عدد سيارات التاكسي التي نحتاجها ووجهات سفرنا داخل غزة.

نخرج الى ارض رفح فلسطين. تختفي الصحراء وتبدأ الأرض الخصبة. ينتهي الفراغ وتبدأ أكداس البيوت الباطونية المتكومة على بعضها البعض. ينتهي القفر وتبدأ السهول والبساتين. تنتهي السكينة وتبدأ آثار الخراب والدمار وعلامات الحرب.

يتبدد الانضباط وتظهر الفوضى. وما أن نبدأ المسير حتى نسمع هدير طائرات حربية اسرائيلية في السماء. ولا أفكر سوى بالسرير المفترض الذي أود الارتماء فيه.

لكن المتاعب لا تنتهي والسرير ما زال بعيداً. «أنطنط» من فندق الى فندق ولا غرفة شاغرة. اللعنة، كل هؤلاء الصينيون واليابانيون والكوريون والماليزيون والانكليز والأميركيون والفرنسيون والهولنديون والكنديون وجنسيات لا تحصى، استولوا على كل الفنادق، «سياحة الحربِ» في أوجّها.

أخيراً في «فندق بيتش»، تم اخلاء غرفة منذ عشرة دقائق . أستولي عليها. أنظر من النافذة فأسأل الموظف عن آثار الرصاص والقذائف في المبنى المقابل.. يقول: لا، ليس الاسرائيليون. انها معاركٍ فتح وحماس. انه برج الغفري، حماس رمت منه قناصاً لفتح من سطحه.

أظن أنني سافرت.. لكنني لست بعيداً. ها أنا مجدداً أمام برج المر وقناص الهوليداي - إن والحرب الأهلية والتاريخ المخجل والمستقبل الغامض والموت اليومي!

فاتحة لبداية عهد جديد في العلاقات الأمريكية ـ المصرية؟

أبعاد الإفراج عن المعارض المصري أيمن نور

قنطرة حوار مع العالم الإسلامي
Qantara.de

سليم بوخذير

هل الإفراج عن نور استجابة من حكومة مبارك للمطالبة الأمريكيّة؟ ولماذا تأخرت الاستجابة كل هذه السنوات؟

أعلن النائب المصري العام أنّ إطلاق سراح المعارض المعروف أيمن نور تمّ لـ«أسباب صحية» وتبنّت المصادر الحكومية المصرية هذا التبرير، فيما قال نور إنّ الإفراج عنه، الذي اعتبره خطوة إيجابية، لم يتم بناء على أي صفقة أو أي حوار مع النظام المصري و أنّه لم يكن يعرف إلى آخر لحظة أنه مفرج عنه إلى أن أوصلته سيارة أمنية من السجن إلى بيته بحي الزمالك.

في الواقع، لا يمكن للملاحظين أن يُصدّقوا بسهولة أنّ الإفراج عن أشهر معارض لنظام الرئيس المصري مبارك كان لـ«أسباب صحيّة»، فصحيح أنّ نور عانى أزمات صحية كبيرة في السجن زادها تفاقما ما اشتكى منه من تعسف وتحامل عليه في السجن وحرمانه من حقوقه الأساسية، إلاّ أننا لو صدقنا أنّ الإفراج كان لـ«أسباب صحّية» كما ذُكر، فلماذا إذن لم يتمّ قبَل ذلك بسنتيْن مثلا أو حتى سنة؟ ألم تكن معاناة نور الصحّية في المعتقل متفاقمة من ذي قبل وتكرّر اشتكاؤه من هذه الناحية؟

تأخر الإفراج عن المشاكس ..وتداعيات متلاحقة

وفي المقابل، لا يمكن لقسم آخر من الملاحظين أن يقتنع بأنّ الإفراج عن الوجه المعروف للمعارضة العلمانية في مصر كان فقط استجابة لطلب أمريكي متكرّر بالإفراج عن هذا المناضل المصري الليبرالي الذي يظل رقما مهماً ونوعيا في لوحة معادلات السياسة في مصر.

ذلك أنّ المُطالبات الأمريكيّة الحثيثة للسلطات المصرية بالإفراج عن رئيس حزب الغد أيمن نور، لم تتوقف في السنوات الماضية حيث اعتبرت حكومة الرئيس بوش وقتها اعتقاله تقصيا من الحكومة المصرية من تعهدات الديمقراطية والحرية وحكم القانون. ومع أنّ عدم الإفراج عن نور طوال فترة حكم الرئيس بوش، خلق حالة نسبية من الجفاء بين الولايات المتحدة وحكومة مبارك، فإن النظام المصري لم يتخلّ عن إصراره على الاحتفاظ بالدكتور نور خلف القضبان، بعيدا عن محيطة العائلي والنضالي ومحروما من المشاركة في الحياة السياسيّة.

فلماذا يكون -في رأي البعض- الإفراج عن نور مؤخرا بالذات وقبل زهاء ٥ أشهر كما ذكر هو بنفسه من تاريخ نهاية حكمه، هو استجابة من حكومة مبارك للمطالبة الأمريكيّة بالإفراج عنه؟ لماذا تتأخر الاستجابة كل هذه السنوات؟

وفيما أكد الناطق الرسمي باسم وزارة الخارجية الأمريكية جوردن دوجيد أن حكومة بلاده «لم تُبلغ مسبقا بالإفراج عن نور» مع ترحيبها بذلك، يقلّل سكوت كاربنتر، نائب مساعد وزيرة الخارجية الأمريكية في فترة حكم الرئيس بوش ومدير مشروع «فكرة» بواشنطن من صدقية أن الإفراج عن نور كان لـ«أسباب صحية»، ذلك أن المشاكل الصحية لنور في السجن كانت قائمة منذ سنة اعتقاله الأولى، وهو يرى أنّه لابدّ أن تكون هناك أسباب أكبر لاتخاذ الحكومة المصرية لقرار إطلاق سراح نور في مقدمتها المطالبات الأمريكية.

ويرى سكوت كاربنتر أنّ ما كتبته صحيفة «واشنطن بوست» قبل يومين من الإفراج عن نور لابدّ وأن تكون استندت فيه إلى مصادر مطلعة. وكانت «واشنطن بوست» الأمريكية كتبت بتاريخ ١٦ شباط مقالا اعتبر هجوما على الحكومة المصرية قبل فترة قصيرة من زيارة مرتقبة للرئيس مبارك إلى واشنطن في نيسان القادم. وحثّت الصحيفة الرئيس الأمريكي أوباما على أن يُبلغ مصر أن واشنطن لن تتساهل مع اضطهاد المعارضين وأنه لابد لحكومة مصر بأن تفرج عن أيمن نور وأن تسقط التهم الموجهة للمفكر والمناضل من أجل حقوق المواطنة، سعد الدين إبراهيم، على خلفية كتاباته ونشاطه الحقوقي.

من بوش إلى أوباما .. نور فاتحة العلاقة بالبيت الأبيض

من الواضح أن الإفراج عن نور استوجبته دواع عديدة اجتمعت معا، فمن ناحية لم يتبقّ لمحكوميّة أيمن نور إلا بعض الأشهر، لذلك لن تربح الحكومة المصرية شيئا من مزيد الاستبقاء عليه في السجن للمدة القصيرة الباقية، ومن ناحية أخرى الرجل مرّ فعلا بظروف صحية صعبة كانت في تفاقم.

«إطلاق سراح نور سيزيد من فرص حصول منعطفات وتفاعلات جديدة في لوحة مُعادلات الحياة الحزبية والسياسية بمصر» كما يبدو أنّ الرئيس المصري، الذي وصل إلى ما يُشبه القطيعة مع واشنطن بسبب ملفّ الديمقراطية، الذي كان أيمن نور على رأس صفحاته، غير راغب في المحافظة على أي أسوار قد تكون بينه وبين البيت الأبيض في عهد ساكنه الجديد الرئيس أوباما، ولذلك اختارت الحكومة المصرية إعطاء الضوء الأخضر لأيمن نور في درب الحرية وذلك أملا في أن تنال هي أضواء خضر كثيرة في طريق علاقتها بالولايات المتحدة، فضلا عن محاولة حكومة مبارك من خلال الإفراج عن نور تخفيف حالة الاحتقان التي خلقها اعتقالها له ليس في علاقتها بالمجتمع المدني المصري فقط، بل بعديد أطياف ومنظمات حقوق الإنسان الدولية الكبرى.

وبعيدا عن التشكيك في مدى وجاهة القضية، التي سُجن بسببها رئيس حزب الغد، وعن علاقة كل ذلك بتجرُّئه في دولة من العالم الثالث على منافسة الرئيس في الانتخابات الرئاسية بكل جدية، فإنّه لا يختلف اثنان في أنّ المشهد السياسي فقد الكثير من بريقه بعد استبعاد نور منه بعد الاعتقال.

الساحة السياسية المصرية تستعيد بعد الإفراج عن نور نجما من نجومها المؤثّرين، وهو بلا شك يزيد فرص حصول منعطفات وتفاعلات جديدة في لوحة مُعادلات الحياة الحزبية والسياسية بمصر.

آمال بتحريك الرمال في المشهد السياسي

لقد استطاع أن نور أن يوجد نوعا من الحراك السياسي في الساحة المصرية قبل اعتقاله، كما استطاع أن يوجد نوعا من الاستقطاب غير التقليدي في المشهد السياسي المصري، الذي كانت تحكمه في الإجمال جبهتا جذب فقط، الأولى هي للسلطة والثانية جبهة جذب للتيار الإسلامي، الذي تمثله حركة الإخوان المسلمين.

وحين ظهر أيمن نور، وخاصة بعد دخوله الانتخابات الرئاسية مع ما حرّكه ظهور حركة «كفاية» الليبيرالية من رمال في الساحة السياسية المصرية، بدا وكأنّ هناك إمكانية لخلق جبهة ثالثة للاستقطاب هي الجبهة العلمانية الليبرالية التي تختلف مع النخبة الحاكمة في تأجيل الإصلاحات السياسية وتتقاطع في مطالب الحرية مع جبهة الإسلام السياسي المعتدل فيما تختلف معها في المشروع الثقافي وفي مسائل أخرى كالتشريعات وعلاقة الدين بالدولة.

ومن هذا المنطق يأتي الإفراج عن أيمن نور، الذي أعلن فور نفضه لغبار السجن عن جسمه نيّته استئناف عمله السياسي وتمسكه بالنضال من أجل الإصلاح الديمقراطي، ليعطي انطباعا بأنّ دماء جديدة قد تُبعث في المشهد السياسي بمصر، خاصة وأن تجربة الاعتقال قد عززت مكانته كواحد من الأصوات المهمة للنضال من أجل الديمقراطية في مصر وحتى في المنطقة العربية. وما أحوج المشهد السياسي المصري الآن إلى حالة المدّ هذه التي من المنتظر أن تعود وتيرتها إلى الارتفاع مع عودة أيمن نور، وما سيتركه ذلك من أثر إيجابي في مطالبات الإصلاح في مصر وفي المنطقة.